

الحرب على إيران: بين الرمزية وحقيقة الأهداف الإستراتيجية

The war on Iran: between symbolism and the reality of strategic objectivesبلكرشة مولاي محمد¹¹ جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم، moulaymohamed.belkercha@univ-mosta.dz

تاريخ الاستلام: 2026/06/14

تاريخ القبول: 2026/09/30

تاريخ النشر: 2026/10/15

ملخص:

تعالج هذه الدراسة موضوعا لا يزال في طور تجلياته المحكومة بموازن القوى غير المتكافئة التي حفزت على المبادأة بالحرب على إيران التي استطاعت تجاوز حدود التفاوت التسليحي وقوة التحالف الحربي بأسلوب لا تماثلي بفعل معادلة الردع المركب التي فرضتها. وفي ظل كل ذلك كانت الساحة الإعلامية مجالا نشطا لمواجهة موازية لا تقل شراسة عن حرب الميدان. ومما ركزنا عليه، تحليلا، التوظيف المكثف للرموز في هذه الحرب. وبعد توصيف مقتضب لسياقها العام، وعرض مفاهيمي نظري ل: الردع، الرمزية، المكانة، والسمعة، حاولنا تحليل أثر رمزية المكانة والسمعة في العلاقات الدولية، وفي هذه الحرب، وقبل ذلك العلاقة المحتملة بين الخصائص الثابتة في شخصية الرئيس ترامب وعنصري المكانة والسمعة في سياق هذه الحرب.

الكلمات المفتاحية: رمزية؛ ردع؛ حرب؛ إيران؛ أمريكا.

Abstract:

This study addresses a subject that is still unfolding within a context governed by asymmetrical balances of power that encouraged the initiation of war against Iran. Despite the disparity in military capabilities and the strength of the opposing coalition, Iran managed to overcome these constraints through an asymmetric approach enabled by the equation of composite deterrence it imposed. Amid these developments, the media arena emerged as an active field of parallel confrontation, no less intense than the battlefield itself.

Our analysis focuses particularly on the extensive use of symbols throughout this conflict. Following a brief description of its general context and a theoretical-conceptual discussion of deterrence, symbolism, status, and reputation, we sought to examine the impact of the symbolism of status and reputation in

international relations and, more specifically, in the context of this war. Prior to that, we also explored the potential relationship between the enduring traits of President Trump's personality and the notions of status and reputation within the framework of this conflict.

Keywords: Symbolism; Deterrence; war; Iran; America.

المؤلف المرسل: بلكرشة مولاي محمد ، moulaymohamed.belkercha@univ-mosta.dz

مقدمة:

قال الله تعالى "وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل، ترهبون به عدو الله وعدوكم".¹ إن هذه الآية أبلغ ما نستدل به عما يمكن أن يكون للترهيب من أثر بالغ في ردع العدو. لقد لفت انتباهنا ونحن نتابع مجريات الحرب الأخيرة على إيران مراعاة كل طرف لتوقعات الطرف الآخر في استقباله للتصريحات الإعلامية ووقعها على أتباع و حلفاء كليهما وعلى مكونات المجتمع الدولي من حيث الكيفية والتفسير المعطى لها نسبةً إلى حسابات الربح والخسارة وإلى المكانة والسمعة. غالبا ما لا تكون السمعة والمكانة هدفا بحد ذاتهما بل لما توفرانه من مصالح ولما تُرتبانه من مراكز (سياسية، إقتصادية، واستراتيجية).

وعلى أساس ذلك، فقد اعتمدنا في دراستنا هذه على استقراء تفاصيل الحرب وترباطاتها وارتداداتها الإقليمية والدولية، ثم حاولنا تقدير صلاحية الإطار النظري الواقعي الجديد لتحليل ظاهرة الردع في هذه الحرب مع التركيز على بعد "الرمزية" الذي قلما يُؤخذ به في تحليل الصراعات الجيواستراتيجية. فإلى أي مدى كانت الإعتبارات الرمزية حاضرة أو موجهة لهذه الحرب؟ هل كانت كذلك بالنسبة لكل أطراف الحرب (المعتديان، والمعتدى عليه)؟ أم أنها لم تُعد أن كانت بعدا جانبيا مساعدا على تحقيق أهداف بأبعاد استراتيجية أهم؟

المحور الأول: السياق العام للحرب على إيران

لقد حرصنا في هذا المحور على استخراج ما يفيد بأهمية الرموز في حرب 28 فبراير 2026، انطلاقا في البداية من المسبقات القريبة لها (حرب 12 يوما)، ثم من تفاصيل واقعها الميداني.

1- حرب الإثني عشر يوما:

لقد كانت حربا خاطفة، ابتدأتها إسرائيل بقصف جوي للمحطات النووية الإيرانية في 13 جوان 2025 واصفة إياها بالحرب الإستباقية لـ "تهديد وجودي لكل يهود العالم". وقد نجحت في جر الولايات المتحدة الأمريكية إليها بشنها هجوما جويا في 22 جوان 2025 (دون تفويض من الكونغرس)، وذلك في خضم هدنة كان قد أعلنها الرئيس ترامب للتفاوض مع الإيرانيين.

وهكذا، قامت قاذفة الشبح الأمريكية B-2 (التي لم يتم إنتاج منها سوى 21 قاذفة فقط بعد إلغاء وزارة الدفاع الأمريكية (البنتاغون) برنامج الاستحواذ الذي كان مخططا له) بتوجيه قنابل خارقة للتحصينات (من طراز جي.بي. يو-57 إيه/بي (موب)) لمحطات فوردو، نطنز، وأصفهان. وشنت إسرائيل أيضا غارات عدة على بنى تحتية ومجمعات سكنية عسكرية، واستهدفت قيادات عسكرية من أهمها رئيس الحرس الثوري الإيراني واغتالت علماء نوويين كبار. وكان رد الإيرانيين عليهم أيضا مفاجئا في سرعته وفي المدى والقدرة التفجيرية لصواريخهم الباليستية والفرط-صوتية التي قُصف بها "قلب" تل أبيب ومناطق أخرى، في مشهد غير مألوف لفت أنظار شعوب العالم كله، خاصة وأن الأمر يتعلق بجيش طالما وُصف بالجيش الأقوى في المنطقة. وقد أظهرت المنظومة الدفاعية الصاروخية الإسرائيلية (والأمريكية والبريطانية) في هذه الحرب خلاا كبيرا في التصدي لهذه الصواريخ. وهكذا، وبشكل مفاجئ وغريب جدا أعلن الرئيس الأمريكي انتهاء حرب انتقدتها ورفضتها غالبية دول العالم.

في أواخر ديسمبر 2025 اندلعت احتجاجات عنيفة مطالبة بإصلاح الأوضاع الاجتماعية لتتطور الأمور إلى مواجهات مسلحة لإسقاط النظام ككل، بتحريض وتمويل وتسليح أمريكي مجاهر به من قبل الرئيس الأمريكي. وبعد صدام دموي استطاعت السلطات الإيرانية ككل مرة تجاوز هذه الأزمة.

2- حرب 28 فبراير (ذات الأهداف المترددة)

بينما كان العالم كله يتابع مجريات اللقاءات التفاوضية في بداية شهر فبراير 2026 وينتظر مخرجاتها أقدمت القوات الجوية الأمريكية والإسرائيلية في 28 فبراير 2026 على قصف جوي كثيف مرة أخرى للمحطات النووية وللمقار الرسمية للقيادة الإيرانية كان من أخطرها، وأكثر نتائجها رمزية بالنسبة للرئيس ترامب وحليفه الإسرائيلي اغتيال المرشد الأعلى علي خامنئي رأس النظام ومركز ثقله الحقيقي ليس فقط كأعلى مؤسسة رسمية بل كأسمى مرجعية وقيادة دينية وروحية بالنسبة لشعبة المنطقة ككل.

ما ميز هذه الحرب - ضمن منطق الربح والخسارة، فيما تم تحديده سلفاً من أهداف استراتيجية - تردد الإدارة الأمريكية، وكذا الحليف الإسرائيلي، كمبادرين إراديين بها. إذ تم خفض سقف الأهداف من إسقاط النظام وتفكيك البرنامج النووي والمنظومة الصاروخية وإيقاف الأعمال المزعزعة لاستقرار المنطقة ليتم في الأخير - بعد غلق مضيق هرمز من قبل الحرس الثوري الإيراني وضرب أغلب القواعد الأمريكية في المنطقة وكذا حقول النفط والبنى التحتية الخليجية ومناطق حساسة في فلسطين المحتلة - تجاوز الهدف الأول ويستقر الأمر على مطالبة الرئيس الأمريكي إيران بإيقاف برنامجها النووي وتسليم اليورانيوم المخضب، وتبع ذلك ادعائه أن النظام قد تغير وأن القادة الحاليين أكثر عقلانية. مع أن القادة الجدد أبقوا على النظام كما هو. ولاحقاً، قال ترامب إن الحرب تهدف إلى التخلص من المنشآت النووية، بعد أن أكد أن هذه المنشآت قد دمرت كلياً في الغارات الأمريكية التي شنها في الصيف الماضي.

بعد استماتة الإيرانيين - في رفض ما وُصف "رضوخاً لشروط الإستسلام الأمريكية"، وفي ظل إحكام الحرس الثوري إغلاقه لمضيق هرمز - عمد الرئيس الأمريكي إلى دعوة الإيرانيين للتفاوض بعدما هدد لأكثر من مرة بـ "محو الحضارة الإيرانية"، ثم قوله تبريراً بأن "قبول الإيرانيين بالتفاوض إنما كان ثمرة تهديده إياهم بالجحيم وبتدمير الجسور والمنشآت الطاقوية"... ليضيف بنبوة وعيد ونرجسية معهودة لديه قائلاً في مقابلة لشبكة فوكس نيوز في 12 أبريل 2026: "لقد جاؤوا إلى الطاولة وكأنهم يمتلكون أوراق الضغط، لكنهم لا يمتلكون شيئاً... أتوقع أن يعودوا وأن يمنحونا كل ما نريد. قلتُ إنني أريد كل شيء، لا تسعين بالمائة ولا خمسة وتسعين، بل كل شيء..." ثم أكمل قائلاً: "رأيتُ ما فعلناه بفنزويلا. سيكون الأمر مشابهاً لكن على مستوى أعلى"². وفي ذلك تهديد مبطن لكل من يحاول الوقوف أمام إرادته.

ومنه، فإن أهم استنتاجاتنا بخصوص هذه الحرب ما يلي:

- أ- الإخفاق الإستراتيجي والإستخباراتي في انعدام القدرة على توقع ردود أفعال المعارضة الداخلية من جهة، والحرس الثوري من جهة أخرى، رغم كونها حرباً استباقية؛
- ب- إغتيال المرشد الأعلى أسقط التزام الإيرانيين التاريخي والإيديولوجي بمنطق موازنة الربح والخسارة، وجعلهم أكثر تشدداً وتحراً من كل الضوابط.

فبعد اغتيال المرشد الأعلى علي خامنئي وغيره من كبار القادة السياسيين والعسكريين، لم يخرج النظام الإسلامي من الحرب متماسكاً فحسب، بل أكثر جرأة، كما تبين هجماته الانتقامية ضد دول

الخليج العربية، وأكثر تشدداً بقيادة مرشد أعلى جديد هو مجتبي خامنئي ابن المرشد علي خامنئي، وهو في منتصف عمره؛³

ج- ضرب القواعد العسكرية الأمريكية في المنطقة كان رد فعل متوقع، غير أن ما لم يكن متوقعا وأربك كل حسابات الإدارة الأمريكية إقدام الحرس الثوري الإيراني على استهداف المنشآت النفطية في المنطقة بسبب "هول فاجعة قتل المرشد". ما جعل أسعار النفط والغاز تبلغ مستويات غير متوقعة كان المواطن الأمريكي والأوروبي أوائل المتضررين منها، مع كل أثر ذلك السيئ على شعبية الرئيس ترامب؛

د- إلتفاف المعارضة الداخلية، وإلى درجة ما المعارضة الخارجية، حول القيادة الجديدة بعد إغتيال المرشد الأعلى وبفعل زوال بعض تحفظاتهم على بعض رموز النظام بعد اغتيال كثير منهم. وذلك رغم كل المحاولات الخارجية "لتقويض الرمزية السيادية من خلال شن حملات تشكيك متواترة تستهدف المؤسسات السيادية والرموز الوطنية بغرض ضرب موثوقيتها في العقل الجمعي، وتفكيك 'الرابطة العضوية' التي تربط المواطن بكيان الدولة، وتحويلها إلى علاقة اغتراب وتشكيك دائم"؛⁴

هـ- عدم قدرة المعارضة الكردية المسلحة الرابضة في إقليم كردستان العراقي أو حتى الداخلية على تحقيق انجاز عسكري، رغم الحزام الناري الكثيف الذي وفره لهم القصف الجوي الأمريكي والإسرائيلي في مناطق تركزهم في غرب إيران وعلى مقرات الباسيج لإشاعة الفوضى. وذلك بفعل استباق الحرس الثوري لتحركاتها، وبفعل الإسناد الإستخباراتي الذي وفره الأتراك لهم مخافة أن يشكل النموذج الكردي الإيراني المحتمل لدولة مستقلة تهديدا حقيقيا لتركيا التي تواجه نفس المشكل من نفس المصدر.

و- إغلاق مضيق هرمز في بداية مارس 2026 - مع كل التداعيات والآثار الجيوسياسية والإقتصادية التي رتبها ذلك على المصالح الأمريكية والخليجية و الإقتصاد العالمي ككل، خاصة أنه مضيق يؤمن مرور ما نسبته 20% من النفط العالمي - غير سلم الأولويات الذي وُضع قبل الحرب وأصبح فتح المضيق (الذي لم يكن مطروحا أصلا) أولوية قصوى. وذلك بالنظر إلى أهميته بالنسبة للحلفاء الخليجيين الذي أضحوا هذه المرة يضغطون لإيقاف الحرب، وكذا نسبةً إلى رمزية هذا الإجراء الذي أخرج الإدارة الأمريكية، لا سيما بعد تمسك الإيرانيين بفكرة فرض "رسوم العبور".

ز- إستماتة الإيرانيين في إعادة تعريف الأمن الإقليمي، بناء على مطلبين رئيسيين يعكسان رؤية يجري تطويرها مستقبلا: المرور المشروط (برسوم/تصاريح) عبر مضيق هرمز؛ وتفكيك القواعد العسكرية الأمريكية

في المنطقة... فرغم علم الإيرانيين بصعوبة تحقيق هذين المطلبين إلا أنهم يتمسكون بهما كمدخل لافتكاك مطالب أخرى من أهمها رفع العقوبات الاقتصادية.

ح- لم يكن الغزو البري خيارا مطروحا بقدر ما كانت الأولوية للغزو الجوي بأقصى قوة تدميرية لإخضاع إيران لكل الشروط الأمريكية، بأقل الخسائر، مخافة تكرار خطأ التدخل البري في العراق سنة 2003.

ط- حصار الموانئ الإيرانية، بعد إغلاق مضيق هرمز، لجرّ الإيرانيين إلى اتفاق استسلام - وإن كان خانقا ومكلفا لهم - غير أنه أضر أيضا بمصالح دول العالم ككل وبدرجة أكبر دول المنطقة، والصين.

ي- مبالغة الرئيس ترامب في مراعاة اعتبارات السمعة والمكانة ورموز النصر أتوا بنتائج عكسية أفسدت عليه وعلى بلده الأهداف الإستراتيجية التي حُدِدت للحرب وحتى خلال المفاوضات التي كان من أهم رهاناتها إيقاف التخصيب. إذ أنه لم يترك للإيرانيين - بتصريحاته المتنمرة Bullying statements حسبما تصفه به باندي لي Bandy Xenobia Lee⁵ - ما يحفظون به ماء الوجه أمام شعبهم والمنطقة ومحور المقاومة، لا سيما حزب الله الذي فعّل جبهة لبنان على إسرائيل مؤازرةً ومساندةً لإيران.

ك- تعميق الحرب لهوة الخلاف بين الولايات المتحدة وشركائها الأوروبيين في حلف الناتو، الأمر الذي دفع بالرئيس ترامب إلى التهديد العلني بالتفكير جدياً بالانسحاب من الحلف، الذي ضمن السلام في أوروبا لحوالي ثمانين سنة. وكان ترامب خلال ادعاءاته أن بلاده لا تحتاج أو لا تستخدم مضيق هرمز، قد طلب من الحلفاء في أوروبا إرسال أساطيلهم إلى مضيق هرمز والسيطرة عليه، وهو أمر رفضته هذه الدول، لأنها تعتبر الحرب غير شرعية، ولأن الرئيس ترامب لم يستشرها قبل شن الحرب.⁶

المحور الثاني: الردع، السمعة والمكانة في العلاقات الدولية

لقد أُهملت تحت وطأة المبالغة في تغليب المعطيات الموضوعية - المتعلقة بتركيبة النظام الدولي وبفوضيته حسب التعبير والإعتقاد الواقعي، والحاجة لتحقيق الردع - الأبعاد النفسية والرمزية في تحليل العلاقات الدولية في تجاهلٍ لكون الردع، بالعقاب (مباشرا Direct Deterrence أو موسعا Extended Deterrence) أو بالحرمان كما في حالة الحصار، ينطوي في حد ذاته على بعد نفسي أساسي وحيوي.

1- الردع: تطور في مصادر وأشكال التهديد، فتطور في التصور

لطالما شكل الردع مثار اهتمام الباحثين لدرجة راكمت فيها اسهاماتهم معارف ودراسات كثيرة أسست لنماذج نظرية تضاربت فيها تيارات فكرية مدفوعة من جهة بتفضيلات معرفية وما تعتقده أكثر

صلاحية وصِدقية في تحليل الردع، ومن جهة أخرى بتطورات واقع العلاقات الدولية وطبيعة النزاعات في كل حقبة تاريخية، أو حتى بمهدف تطوير وصياغة نزعة استراتيجية من ذات فلسفتها وأولوياتها ذات الصلة.

1-1- التأسيس النظري للمفهوم

تجد نظرية الردع Deterrence Theory أصولها الأولى عند فلاسفة وفقهاء القانون من أمثال توماس هوبز في كتابه "التنين"، وسيزار بيكاريا Cesare marchese di Beccaria في كتابه "في الجرائم والعقوبات" سنة 1764، جيريمي بنتام Jeremy Bentham في كتابه "مقدمة في مبادئ الأخلاق والتشريع" سنة 1780...

لقد جادل حينها "بيكاريا" أصحاب الطرح المفضل للعقوبة معتقدا بأنه إذا كان الغرض الوحيد من العقاب هو منع الجريمة في المجتمع، فإن "العقوبات تكون ظالمة عندما تتجاوز شدتها ما هو ضروري لتحقيق الردع". وفي ذلك تسبيق وتفضيل من قبله لأثر التخويف بالعقوبة من العقوبة ذاتها في الوقاية من الجرائم وفي منع حدوثها. وذلك انطلاقا من فرضية بنى عليها "بيكاريا" طرحه مفادها أن الإنسان عقلاني بطبعه ولن يندفع إلى ارتكاب الجريمة إذا تأكد له ارتفاع كلفتها مقارنة بمكاسبها المحتملة. والعقلانية، كما نعلم، هي جوهر فكرة الردع في الفكر الواقعي الذي يتأسس على فرضية تحليل التكلفة والعائد.

أما "بنتام" فقد كان يفضل هو أيضا، ولكن لأسباب تتعلق بالظروف التي عايشها (الإستبداد والتعسف في استعمال السلطة وفي العقوبة)، الردع على العقوبة في مكافحة الجريمة. وذلك بالقول بأن: "الهدف النهائي من القانون هو توسيع نطاق سعادة الناس من خلال زيادة اللذة وتقليل ألم المجتمع، وبأن العقاب (كألم) إذا تجاوز ما هو ضروري لردع الناس عن انتهاك القانون، فهو غير مبرر وغير مشروع."

لقد احتج هؤلاء المنظرون على الأفكار التي هيمنت على الفكر الأوروبي وعلى التفسيرات الروحانية للجريمة. وقد اتخذوا فلسفة العقد الإجتماعي مرجعا لنظرية الردع الحديثة في علم الإجرام.

يشكل انتقال مفهوم الردع من مجال القانون (العام) إلى العلوم السياسية لا سيما العلاقات الدولية "إقتباسا" كرس تحولا مهما في استعمالات وفي أبعاد هذا المفهوم من مجال التشريع والتطبيق الوطني تحقيقاً للنظام العام إلى مجال الصراعات الدولية تحقيقاً للأمن القومي للدولة، دون أن يكون بالضرورة طرفاً العلاقة الردعية، في هذه الحالة، الدولة كمحتكر لوسائل القهر المادي وممارس للردع والتهديد به، من جهة، والفرد الجاني (وشركاؤه في الجريمة) من جهة أخرى، تطبيقا لما يعرف قانونا بالردع الخاص (لمرتكب الجريمة) والردع العام (لكل من يفكر أو يحاول إتيان فعل مجرم).

لقد انتعشت نظرية الردع أثناء الحرب الباردة بفعل اجتهادات وتحفيز المفكرين الواقعيين الجدد الذين تبوؤوا مناصب حساسة في الإدارة الأمريكية وفي دوائر البحث التي تمد صانع القرار بالخبرة والمشورة. وقد اعتُبر استعمال القدرة التدميرية للسلاح النووي في اليابان سنة 1945 كمنطلق ودعامة علمية وعملية للنظرية الواقعية في مواجهة التهديدات والتعامل معها.

شكلت مبادئ النظرية الواقعية الجديدة وفرضياتها مرجعا وموجها أساسيا للسياسة الخارجية الأمريكية. وقد ترك هذا الفكر أثرا بالغاً في العلاقات الدولية في تلك الحقبة.

يُبد أن هناك من الباحثين من كانت لديه تحفظات وملاحظات بخصوص صلاحية وقدرة الطرح الواقعي الجديد في دراسة كل أشكال ومستويات الردع. من ذلك مثلاً جورج ألكسندر George L. Alexander⁷ وريتشارد سموك Smoke Richard. وذلك من منطلق أن أصحاب المقاربة الواقعية قد دأبوا على دراسة الردع الأمريكي في حالة الرد الشامل فقط (الردع النووي) الذي يتناسب مع وضعية وحالة الثنائية القطبية. ما جعل بعض المفكرين حينها ينتبه لوجود أشكال ومستويات أخرى من الردع الضروري لأشكال ومستويات غير مألوفة مثل المستوى (الثاني) المتعلق بردع الحروب الداخلية والمحدودة؛ والمستوى الثالث (وهو المستوى الأدنى لنطاق العنف) المتعلق بردع الأشكال غير العسكرية والنزاعات المحدودة (التمرد، حرب العصابات، الأزمات الدبلوماسية...)⁸.

ونضيف نحن على ذلك أن الواقع الدولي الحالي أضحى فيه عدد الدول النووية أكثر من قوتين نوويتين فقط، بما في ذلك دول أخرى لا زالت تُظهر استماتة في الاعتراف بها كقوى نووية، أو حتى كيانات أخرى دولية غير تقليدية قد تتمكن بطريقة ما من حيازة السلاح النووي أو التقنية والخبرة النووية.

2- التأثير بدل الردع

لقد أضحت "الموجة الرابعة" الحالية من الدراسات المتعلقة بالردع تطبّق على مجموعة متنوعة من المخاوف الأمنية غير الحكومية والعابرة للحدود، مثل التمرد والإرهاب والتطرف والجريمة المنظمة والجريمة الإلكترونية والقرصنة الدولية، وكذا معضلات أمنية تقليدية ناجمة عن سلوكيات دولية غير مشروعة (لدول وكيانات دولية)... بما أفضى إلى التفكير في تصورات جديدة، مثل الردع الموسع والردع المركب، تجاوزت تفاسير وأبعاد النظرية التقليدية للردع.

لقد كانت وراء هذا الإهتمام البحثي المتجدد بكل ما يتصل بالردع فضاءً وقوةً رمزية هجومات 11 سبتمبر 2001. وذلك بعد التشكيك المتكرر الذي جاهر به الرئيس الأمريكي جورج دبليو بوش، ووزير دفاعه دونالد رامسفيلد... في القدرة على ردع الإرهابيين.

وهكذا، اجتهد الباحثون في الكشف عن رؤى عملية وأطر تجريبية للتفكير في التهديدات المعاصرة، والمنافسين الناشئين، وسيناريوهات الأمن المستقبلية، لتجاوز الحدود الإميريقية للطرح الواقعي. وبهذا، فقد اتسع مدلول الردع بشكل عميق ليتخطى إطار الدولة كوحدة تحليل أساسية (ومصدر تهديد وحيد في العلاقات الدولية). ولتجاوز الحدود الإميريقية لنظرية الردع تماشياً مع التطورات والتحديات الجديدة فضل بعض الباحثين تحويل الإهتمام والدراسة من الردع بمدلوله التقليدي إلى ما أصبح البعض يفضل تسميته "بالتأثير".

كما أسلفنا، يقوم الردع على مبدأ استباقي يُجسّد ما وصفه ميشيل فوكو بـ "السلطة الانضباطية"، حيث تتم ممارسة القوة عبر تشكيل سلوك العدو ودفعه إلى رسم توقّعات مفترضة حول مصيره. وهو جوهر الفكرة ذاتها التي يعطيها فريدريك نيتشه للردع من حيث أنه يرى في العقاب أداة لتشكيل الذاكرة الجماعية وربط الأفعال بعواقبها. وهو ربط يفترض العقلانية في الحسابات إذ إنه يربط جدوى الأفعال في مآلاتها المحتملة. ومن ثمة، فأساس المفهوم التقليدي للردع في عمومته هو افتراض التفكير العقلاني لدى الطرف الآخر.⁹

لقد أصبح المجال الحيوي العملياتي (والبحثي) للردع في السنوات الأخيرة يتمحور أساساً حول الإرهاب المتعاضم أو المفرط (ذي البعد الإقليمي/العالمي) Hyperterrorism كمصدر تهديد غير تعاقدية (وفي كثير من الأحيان غير عقلائي، بمفهوم ومنطق العقلانية الحداثية) يتجاوز إطار الدولة كوحدة تحليل (في جوانبه البحثية) ومُبادئٍ بالفعل العدائي من جهة، وكمجال جغرافي، بسبب طبيعته التمديدية، من جهة أخرى.

يُعتبر بول ديفيس Paul Davis و برايان مايكل جينكينز Brian Michael Jenkins الردع مفهوماً خاطئاً لمكافحة الإرهاب، ويستعيضان عن ذلك بـ "عنصر التأثير" Influence component. يشمل "التأثير" مفهوم الردع أيضاً، غير أن تطبيقه يتجاوز بكثير الإعتماد على التهديد بالعقاب أو الحرمان بغرض التأثير على سلوك الطرف الآخر. فطاقه يمكن أن يتسع ليشمل مجموعة متنوعة من العمليات القسرية Coercive operations، بما في ذلك:

- الإستمالة والإغراء (إقناع الخصم بالإنضمام إلى جهود أكبر)؛
 - الردع والتثبيط (إستخدام التهديدات وتقدير العواقب السلبية لإقناع المنافس بتغيير سلوكه)؛
 - الإنكار والدفاع (خلق تصوراتٍ عن فشلٍ تكتيكي/استراتيجي من أجل تغيير السلوك)؛
 - الهزيمة والتدمير (إظهار القدرة على المعاقبة الحاسمة اليوم، من أجل الردع غداً).
- وهكذا، فقد أسهم هذا المفهوم الجديد (التأثير) في تحليل مجموعة كبيرة جدا من الأنشطة المتعلقة بالعنف السياسي، التطرف، التمرد، والإرهاب،¹⁰ بما في ذلك كل أشكال الحروب التي تتم خارج إطار الدولة. والتي تم بفعالها تجاوز التفوق الإستراتيجي Strategic superiority، سواء بالنسبة للردع التقليدي، أو "الردع الموسع" Extended Deterrence الذي لا يقتصر على الدولة المستفيدة منه بل يتسع مجاله ومداه الجيوإستراتيجي ليشمل حماية الحلفاء.¹¹
- غير أن حدود هذا التصور الجديد للردع في جانبٍ منه تظهر أيضا فيما يُفهم ضمينا بأنه إطار تحليلي يقوم - مثل التصور التقليدي للردع - على فرضية القوة العسكرية ولو بوسائل وميكانيزمات متنوعة (ردع، إغراء، تثبيط، إحراج، إنكار...) في حماية الدولة لذاتها وحلفائها.
- في المقابل، كانت إسهامات البنائين - من أمثال ألكسندر ويندت Alexander Wendt - في حقل العلاقات الدولية قيمة في تبني مفهوم "الردع المركب" Compound Deterrence الذي وسع مفهوم الردع ليشمل أدوات ضغط مختلفة ومتداخلة (إقتصادية، دبلوماسية، سياسية، سيبرانية، نفسية، رمزية...) وتجاوز التصور التقليدي لبنية الردع الذي كان محصورا في القوة العسكرية (للدولة) فحسب.
- ولعل الحرب الأخيرة على إيران تمثل أفضل ما يُستدل به على أهمية البنية التركيبية للردع على الأقل بالنظر إلى تفاوت حجم وشكل القوة العسكرية، وبالنظر أيضا - وذلك هو الأهم - إلى التوظيفات الإستراتيجية الذكية للجغرافيا بأقل القدرات العسكرية الكلاسيكية، وفي التكلفة المالية.
- وبهذا، وبغض النظر عن احتمال تكتل دول أخرى تضررت اقتصاديا من غلق مضيق هرمز ضد إيران، فإن هذا التكتيك (إغلاق المضيق) يمكن أن يكون - كخيار إستراتيجي بصيغة لا تماثلية - مثارا لشكٍ منهجي (بالمعنى الذي صاغه رينيه ديكرات) بخصوص التصور التقليدي لبنية الردع التي كثيرا ما اختُزلت نظريا وعمليا في القوة العسكرية.

3- مكانة وسمعة الدولة خلال الحرب

لطالما كانت المكانة والسمعة من المواضيع التي شغلت اهتمام المفكرين والباحثين في حقل علم الاجتماع، وكان لهم السبق في إثارتها.

ومنه، فغالِبُ الرأي أن المكانة الاجتماعية هي مسار مستمر ومتعدد المستويات، وليست مجرد حالة أو وضعية. إذ تعتبر المكانة - بوصفها تقدير (إيجابي أو سلبي) مشترك من قبل الآخرين يتم على أساسه الحكم على شخص ما (أو مجموعة ما) - شكلاً من أشكال السمعة (جيدة أو سيئة بحسب هذا التقدير المجتمعي المشترك أو الغالب). وهو تقدير يجد مصدره وخلفيته في الضمير الجمعي (بمفهوم إميل دوركايم) وما تعارفت عليه الأغلبية من أفكار، قيم، تقاليد، وسلوكات.

ومن ثمة، فإن السمعة وبالتالي المكانة يمكن أن تكون عرضة " لعملية هدم " متى لوحظ خروج عن هذا الإجماع.¹² والمكانة هي غير السلطة أو الثروة. فقد توجد هاتين الأخيرتين دون أن يتمتع صاحبهما بسمعة أو مكانة (حسنة). وقد تزول لسبب من الأسباب الثروة أو السلطة دون زوال السمعة والمكانة الحسنة. ذلك، لأن المكانة الاجتماعية هي في المقام الأول عملية ثقافية تقوم على علاقة تفاوض مستمر من خلال أفعال الفرد (أو الجماعة) وردود أفعال المجتمع التقييمية منها. والمقصود بالتفاوض هنا هو تلك الأحكام والمواقف (المتغيرة) التي يتبناها في كل مرة المجتمع من الفرد بخصوص تصرفاته وسلوكاته، وبصفة عامة بخصوص شخصه. وذلك هو تفسير اعتبار المكانة - حسب علماء الاجتماع- مسارا (تفاوضيا) لا يتعلق بسمه شخصية ثابتة.

ويمكن موافقة هذا الطرح على الأقل من خلال النموذج الأمريكي خلال رئاسة دونالد ترامب الذي كان سببا في تضرر مكانة أمريكا مؤخرا، والتي تأكدت بعد رفض أو انكفاء دول حلف الناتو عن الانضمام إليه في حربه الأخيرة على إيران.

فكثير من الملاحظين والمحللين من يرجح في تفسير ذلك أسبابا تتعلق بشخص الرئيس الأمريكي ذاته من قبيل تنمره وإهاناته المتكررة لكثير من أعضاء الحلف الأطلسي وقراراته ضد مصالح الدول الحليفة، ومواقفه ضد أوكرانيا، وتهديده بضم جزيرة غرينلاند...¹³

بالرجوع إلى السمعة، يرى من جانب آخر جوناثان ميرسر Jonathan Mercer في كتابه: "السمعة والسياسة الدولية" أن السمعة هي حكم على شخصية الفرد (أو سماته) يُستخدم بعد ذلك لتوقع سلوكه المستقبلي أو تفسيره. وهي تتشكل وفق عنصرين:

- قد تكون السمعة نتيجة أحكام تتم بناءً على السمات الشخصية ثم تصبح محددًا لتفسير سلوكاته. وهو تفسير يقوم على ما يعرف بالإسناد الشخصي Dispositional attribution (بناءً على السمات والإستعدادات الشخصية)؛

- بناءً أحكام تصبح تشكّل فيما بعد سمعة الفرد وفق تفسير موقعي Situational attribution. وهي مقارنة في تحديد وتفسير السمعة لا تتمتع حسب "ميرسر" بصلاحيّة وصدقية خاصة حينما تختلف المواقف. إذ لا يمكن أن تكون التفسيرات الموقفية (حسبه) أساساً لسمعة الشخص لأنها مبنية على سمات وخصائص عابرة يكون عليها سلوك الشخص وتصرفاته في سياق أو ظرف خاص (عابر هو أيضاً). بخلاف التفسير أو المصادر الشخصية للسمعة. فهي ضرورية لتشكيل السمعة دون أن تكون كافية.

ومن ثمة، يمكن استخدام السلوك السابق للتنبؤ بالسلوك المستقبلي في ظل هذه السمعة (الثابتة إلى حد ما) التي تشكلها سمات الشخص الثابتة إلى حد ما هي أيضاً، مقارنة بالمواقف التي تتغير. ولهذا السبب لا يمكن أن يُتخذ الإسناد الموقفى أساساً لتوقع السلوكات المستقبلية للأفراد في مواقف مختلفة. وبالتالي، لا يمكنه تكوين السمعة.¹⁴

وعليه، وبغض النظر عن الجدل المطروح بخصوص مصادر السمعة، يرى "ميرسر" أن هذه الأخيرة يمكن أن تكون مؤشراً جيداً لتوقع سلوكات وتصرفات الأشخاص (أو حتى للدول والكيانات الدولية). فالرجل الكثير الكذب مثلاً يشيع عنه ذلك بين الناس (سمعة سيئة) وبهذا نتوقع دائماً كذبه...

ويعبر عن ذلك ألبورت جوردون W. Allport Gordon بأن شخصية الإنسان تتداخل في تشكيلها ثلاثة أنواع سمات:

- سمة كاردينالية Cardinal Trait. وهي السمة الغالبة لدى الإنسان، توجه مشاعره وأحاسيسه.

- سمة أساسية Central Trait. وهي سمة عامة لدى الفرد توجه سلوكه وتصنع أحكامه.

- سمة ثانوية Secondary Trait عابرة وموقفية.¹⁵

وعلى هذا الأساس يعتقد ميرسر - في ربطه للسمعة بالردع في حالات النزاعات الدولية - أن تكوين السمعة يرتبط بمسألتين اثنتين هما:

- معرفة متى يُرجح أن يستند صنّاع القرار في تفسيرهم لسلوك الغير إلى عناصر تتعلق بشخصيته.

- معرفة متى يعتمد صُناع القرار "الإسناد الشخصي" في تفسير أو توقع سلوك مماثل. إذ يرى "ميرسر" بأن جوهر "حجة الردع" يكمن في توافر هذين الشرطين.

بالرجوع إلى علاقة الردع بالمكانة والسمعة، فإن المكانة ترتبط ارتباطاً وثيقاً بمفهوم القوة لكنها متميزة عنه.¹⁶ ومنه، فمكانة الدولة لا تصنعها قوتها الإقتصادية والعسكرية فحسب بل يتعلق الأمر أساساً بدورها في الساحة الدولية، وطريقة توظيفها لرمزية هذه القوة. والأكثر من ذلك ردود أفعالها المنتظمة، الثابتة، والمتجانسة بخصوص قضايا، مواقف، وأزمات عدة. هي كلها عناصر يجب أن تكون مجتمعة كي تصنع لدولة ما سمعة الهيبة والإحترام. فمكانة الدولة "في بنیان النسق الدولي تحدّد إلى حد بعيد سلوكها إزاء الدول الأخرى. إذ أن النسق الدولي يتسم بالترتيب التدريجي للوحدات الأساسية. ويتحدد ترتيب كل دولة في هذا النسق طبقاً لمجموعة من المؤشرات التي بمقتضاها تنقسم الدول إلى وحدات عليا ووحدات دنيا".¹⁷

إن ردود الأفعال تُعتبر في الوقت ذاته إشارات ورسائل يتلقاها الغير ويفسرها حسب طبيعتها، قوتها، وتوقيتها. ولنا في ذلك أن نقارن بين ردود أفعال الإدارات الأمريكية على اختلاف مراحلها ورؤسائها اتجاه أي فعل عدائي خارج التراب الأمريكي وردود أفعال الصين (بما في ذلك صين اليوم) في هكذا حالات.

لقد نجح الأمريكيون من خلال إظهار استماتتهم تاريخياً في الدفاع عن مواطنيهم ومصالحهم في الخارج في أن يُراكموا إرثاً أضحى عنصراً أساسياً في هذه المكانة والسمعة. وقد وظفوا في ذلك، علاوة على ردود الأفعال السالفة الذكر، الإعلام، الإنتاج السينمائي، وحالياً، المعلوماتية والذكاء الإصطناعي.

ومنه، فليس من الغريب أن يتوقع أي طرف هكذا ردود أفعال وفق هذا الميكانيزم الإسترجاعي، الذي تنطوي عليه فكرة الردع والسمعة عند ميرسر، خاصة في حالة الرئيس ترامب، لأنه بالنظر إلى تركيبته النفسية والعصبية غالباً ما يجعل الطرف الآخر يُرجّح في تفسيره لقراراته وسلوكاته عناصر تتعلق بسماته الشخصية. وهو شرط - كما أسلفنا - جوهرى وضرورى حسب ميرسر في "صلاحية حجة الردع".

Deterrence argument validity.

تحضرنا في هذا السياق قرارات أمريكية سابقة بعقوبات مالية ضد الروس بسبب غزوهم أوكرانيا سنة 2022، وتلويحهم في كل مرة بتنفيذ عقوبات قاسية ضد الصين، دون أن يكون لهاتين القوتين النوويتين أية ردود أفعال حقيقية ترقى لمستوى العقوبات الأمريكية أو التهديد بها بشكل متكرر ومهين.

هذا، وغالبا ما تستند السمعة - حسب ميرسر - بالنسبة للقادة الأمريكيين إلى عناصر: الثقافة، العرق، السلاح النووي... فهو يرى بأنها تتدخل كعامل ينطوي على أبعاد نفسية-عاطفية في العلاقات الدولية غالبا ما تكون مصدرا للحروب.

ولربما تعتبر الحرب الحالية على إيران - على الأقل في آخر تطوراتها - من بين أسوء إسقاطات هذه العناصر (الثقافة، العرق، السلاح النووي)، مثلما حفزت من قبل على التماهي في حروب أمريكية أخرى.

المحور الثالث: الرمزية في الحرب على إيران

تعرضنا في هذا المبحث إلى بعض الشروح والمرجعيات النظرية لمفهوم الرمزية وأهميتها في تحليل النزاعات الدولية وفي المسارات التي يمكن أن تحددها هذه الرمزية لهذه النزاعات: في إثارتها أو في إذكائها. وبالتحليل حاولنا أيضا، من جهة، تتبع أثر بُعدَي مكانة وسمعة الدولة، ومن جهة أخرى نرجسية القادة من خلال حالة الرئيس ترامب كبعد أساسي في تشكيل الدوافع، والأهداف العسكرية بدلالات رمزية تغذيها هذه العناصر (المكانة/السمعة/النرجسية) وتتغذى منها أيضا. وذلك هو جوهر مضمون المطلب الثالث الذي استخرجنا فيه تفاصيل أشكال الرمزية التي انطوت عليها الحرب على إيران، بالنسبة لكل طرف على حدة.

1- مفهوم الرمزية في الدراسات السياسية (المستوى الدولي)

تعتبر نظرية السياسة الرمزية Symbolic politics theory (أو النظرية الرمزية) من بين النظريات المفسرة والمحللة لسلوكات الدول في إطار نسق العلاقات الرسمية وغير الرسمية التي تربطها ببعضها وبكيانات أخرى غير الوحدات السياسية.

تتخذ هذه النظرية الرمز كوحدة تحليل أساسية في العلاقات الدولية بالبحث في الكيفية التي تُبنى وفقها رموز، أعراف، وسرديات الواقع السياسي في جوانب تأثير المشاعر والهوية عليه، وكذا بالنسبة للتفاعلات الدولية، العلاقات الدبلوماسية، والسياسات الخارجية للدول.

في تحليله للحروب الإثنية (كمجال حيوي للإقترب الرمزي في الدراسات السياسية) يرى ستوارت كوفمان Stuart J. Kaufman بأن النظرية السياسية الرمزية "تنطلق من فرضية أن السلوك السياسي في غالبه ليس عقلانيا بل عاطفيا، حدسيا، موجهها بـ"ميول رمزية" كالمعتقدات الأيديولوجية والقيم المعيارية

والتحيزات والهوية الجماعية... وبأن هذه النظرية تصلح لدراسة وتحليل الحروب الدولية. وهي تقدم طريقة للتوفيق بين المفاهيم الواقعية، والليبرالية، والبنائية للعلاقات الدولية بفضل علم النفس السياسي.¹⁸

1-1- التفاعلية الرمزية

كانت الإهتمامات الأولى بالرمزية شأنا بحثيا يعود فيه السبق لعلماء الاجتماع وعلماء الاجتماع السياسي من أمثال جورج هربرت ميد George Herbert Mead (1863/1931)، هربرت بلومر Hurbert Blumer (1987/1900) ... وكان لبعض المفكرين المعاصرين منهم الفضل في نقلها ونقل كثير من المفاهيم ووحدات التحليل البنائية من علم الاجتماع إلى العلاقات الدولية من أمثال : ألكسندر ويندت Alexander Wendt، نيكولا أونيف Nicholas Onuf، بيتر كاتزنشتاين Peter J. Katzenstein، مايكل بارنيت Michael Barnett، كاثرين سيكينك Kathryn Sikkink...

يرى رواد التفاعلية الرمزية مثل جورج هيربرت ميد George Herbert Mead "أن الذات الاجتماعية تنشأ وتنمو من تفكك جزئي، وظهور مصالح مختلفة في فضاء التأمل، وإعادة بناء العالم الاجتماعي، وما يترتب على ذلك من ظهور ذات جديدة تستجيب للموضوع الجديد." وبأن الوعي ينشأ من تحولات مستمرة وتقمص أدوار، ومن رؤية الأشياء من وجهة نظر الآخرين.

يُعتبر "ألكسندر ويندت" من بين المفكرين الذين قدموا اجتهادات قيّمة في نقل النظرية البنائية من علم الاجتماع إلى العلوم السياسية (العلاقات الدولية)، لا سيما من خلال كتابه: "النظرية الاجتماعية للسياسة الدولية" Social Theory of International Politics (1999). فالذات عنده هي في المقام الأول ظاهرة اجتماعية، وليست فردية أو نفسية. وتلك من الافتراضات الأساسية لرواد نظرية التفاعلية الرمزية. وقد استند في إطاره التحليلي هذا إلى طروحات بعض الواقعيين الجدد - وإن خالفهم في جوهر طرحهم - مثل كنيث والتز Kenneth Waltz،¹⁹ وكذا البنائيين لا سيما أنتوني جيدنز Anthony Giddens.

وبنفس المنطق يرى "ألكسندر ويندت" أن الدولة هي ذاتٌ تفاعلية، وتتعلم من خلال التواصل والتفاعل، وتعكس ذاتها، وتشكل باستمرار من خلال الغير. تماما مثل الأفراد حينما يتصرفون ويأتون سلوكات بناء على رموز (دلالية) يعطونها للأشياء كمُحصلة تصور استقر عليه المجتمع. وهي رموز تتغير مع الظروف والزمن. أو كما يقول "ويندت": "لكل شخص عدة هويات ترتبط بأدوار مؤسسية، كأن يكون

هذا الشخص أخا، إبنًا، معلما، ومواطنًا، في ذات الوقت". ونفس الأمر بالنسبة للدولة التي يمكن أن تكون لها عدة هويات: سيدة، قائدة العالم الحر، قوة إمبريالية، وهكذا...²⁰

يتأسس الإطار التحليلي "ويندت" على تصور يشابه إلى درجة ما فكرة "النظام" و"الفوضى" للواقعيين الجدد. إذ يعتقد "ويندت" أن الطبيعة البشرية أو السياسات الداخلية للدول المفترسة Predator states هي التي تُوفّر الدافع الأولي أو السبب "الفعال" للصراع الذي يُجبر الدول الأخرى على الرد بالمثل.²¹

يرى "ويندت" أن الأنماط الذهنية والسلوكية للدول (باعتبار هذه الأخيرة فاعلا أساسيا وحيدا مثلما كان يعتقد إلى وقت قريب الواقعيون الجدد) وهوياتها وكذا مصالحها تتغير بتغير الظروف وبوجهها في ذلك التفاعل مع الدول الأخرى. فقد تكون دولة أو دول ما في مرحلة ما وبخصوص مصالح أو مواقف ما صديقة، وقد لا تلبث أن تصبح في علاقة تنافس أو حتى عداء قد يصل إلى درجة المواجهة.

إن هوية الدولة ومصلحتها يتم تشكيلها مجتمعيا من خلال التجارب، الممارسة، التعلم والتفاعل Learning and interaction مع الدول الأخرى. أو ما يسميه جوزيف ناي Joseph Nye "التعلم المعقد" Complex learning (حسب اقتباساته من "ويندت"). والذي ينتج المعاني الجماعية (الدائمة التغيير)، ومن ثمة، يؤثر في تغيير تصورات الدولة لهويتها ومصلحتها.²²

يرى "ويندت" أن المعاني الجماعية Collective meanings تشكل البنية التي تنظم أفعالنا. "إذا قررت الولايات المتحدة والإتحاد السوفييتي ألا يكونا أعداء فإن الحرب الباردة - حسبه - كانت ستنتهي".

وعليه، فالممارسة التي يعبر عنها رمزيا (وتنطوي على معاني مشتركة) من خلال مثلا: التسليح، التهديد والتهديد المضاد، خطابات الحرب والتحريض، القطيعة الدبلوماسية... هي التي تنتج البنية التي يقصد بها "ويندت" شكل وطبيعة العلاقة بين الدول (كنموذج العداء الصريح بالنسبة لهذا المثال)، وهكذا...

يعبر "ويندت" عن ذلك بما يسميه بـ "ثقافات الفوضى" Cultures of Anarchy التي تتراوح فيها علاقات الدول بين العداء الصريح، الحلف، والتنافس (أو ما يسميه توزيع القوة Distribution of power)، دون أن تكون "الفوضى" و"توزيع القوة" عاملان محددان - حسب نظره - لطبيعة هذه

العلاقات (مثلما يعتقد الواقعيون الجدد). "فنظرة الكنديين للقوة العسكرية الأمريكية هي غير نظرة الكوبيين لها"، مثلما يقول.²³ وفي ذلك تأكيد من قبله على رمزية القوة العسكرية (في هذا المثال) والمعاني التي تحملها وكذا الرسائل التي ترسلها والكيفية التي يستقبلها بها الطرف الآخر أكثر مما يتعلق الأمر بالمظهر المادي للقوة العسكرية في حد ذاتها.

ويعمد "ويندت" بخصوص هذه النماذج من الثقافات التي قد تكون عليها أدوار الدول إلى "اقتباسات" فلسفية من قبيل:

- الثقافة الهوبزية، نسبةً إلى توماس هوبز، للدلالة والتعبير عن نموذج حالة العداء بين دولتين أو أكثر كنتيجة للأفكار والمعاني التي تتضمنها هذه الثقافة؛

- الثقافة اللوكية، نسبة إلى جون لوك، للتعبير عن النموذج التنافسي (سياسيا، إقتصاديا، تجاريا، ثقافيا...) في العلاقات الدولية في كنف التعايش والإقرار بحقوق الغير؛

- الثقافة الكانطية، نسبة إلى إيمانويل كانط. وذلك للدلالة على نموذج العلاقات الدولية التي تقوم على الحلف، التنسيق، والتعاون... (مثل دول الإتحاد الأوروبي، أو الحلف الأطلسي).²⁴

بناء على نظرية التفاعلية الرمزية في السياسة الدولية لدى "ويندت"، فإن ما يسمى المعاني الجماعية التي تنطوي على رموز تُفهم من خلال ممارسات معينة (مثل خطابات التقارب السياسي، الزيارات الدبلوماسية، إبرام المعاهدات الدولية، أو عكس ذلك من خطابات التهديد، الإستعراضات العسكرية...) التي ينتجها تفاعل الدول فيما بينها هي التي تحدد هوية الدولة، ومن ثمة مصالحها. وعلى أساس ذلك يكون شكل العلاقة بين دولة ودولة/ أو دول أخرى. وذلك هو تفسير ما توصل إليه "ويندت" من أن العلاقات بين الدول ليست ثابتة، لأنها قد تنتقل من العداء إلى الحلف أو العكس، بحسب تغير الأفكار والهوية والمصالح التي توجهها التجربة والممارسة والتفاعل الدوليين.

هذا، ويعتبر مايكل بارنيت Michael Barnett أيضا من بين أكبر منظري البنائية الاجتماعية في العلاقات الدولية. إذ ترى الباحثة ربيكا أدلر نسان Rebecca Adler-Nissen أنه قد استند في دراسته حول اتفاقيات أوسلو إلى أفكار إيرفينغ غوفمان Erving Goffman و آن سويدلر Ann Swidler حول التفاعلية الرمزية والتأطير الإستراتيجي Strategic framing، متجاوزا حدود الإطار النظري للواقعيين ومن تأثر بهم من البنائيين الاجتماعيين في اعتماد الدولة وحدة تحليل أساسية وحيدة، بأن أضاف إليها فواعل

أخرى (كالمنظمات الدولية غير الحكومية).²⁵ علما أن كلاهما (غوفمان، وسويدلر) يرفضان فكرة أن تكون القيم هي المحدد لسلوكيات الأفراد.

إن الأفراد حسب "غوفمان" يأتون سلوكيات تتغير تكيفا مع ما يسميه "المشهد الاجتماعي" تشبيها للفرد بممثل على خشبة مسرح يتقمص فيها ما يتطلبه الدور. وليس بالضرورة بناء على ما يحملونه ويعتقدونه من أفكار وقيم. أما حسب ما تسميه "سويدلر" "بالتأطير الإستراتيجي"، فالأفراد ينتقون من ثقافة المجتمع رموزا مثل العادات والتقاليد، الأعراف، الطقوس... بما يناسبهم للتعامل مع كل حالة أو موقف استقرار أو اضطراب. فالفرد هو الذي يبني المعنى بما يستجيب للحالة أو الموقف.

ومنه، فإن مقارنة "بارنيت" في تحليل العلاقات الدولية تُظهر الكيفية التي تسمح بها الرمزية للقادة بتأسيس شرعيتهم (من خلال الخطابات السياسية، ومن خلال الإنجازات، الأحداث التاريخية، المواقف، التحديات...) والتأثير في العلاقات الدولية (تصافح زعيمين مثلا قد ينطوي على رسائل تفيد بوجود علاقة طبيعية أو علاقة صداقة، أو تطبيع للعلاقة بعد عدااء...)، بما في ذلك دور العمليات الاجتماعية (في المجتمع الإسرائيلي) حسب "بارنيت" في عقد اتفاقيات أوسلو سنة 1993.²⁶

تمثلت هذه العمليات الاجتماعية في ظهور طروحات جديدة في نقاشات النخبة الإسرائيلية لتصبح فيما بعد نقاشا عاما حول إمكانية التسوية مع الفلسطينيين عوض الحل العسكري المطلق وحول ما كان يُعتبر من ثوابت الأمن القومي الإسرائيلي. كل ذلك يعطي رمزية قوية عن عمق التحول الذي عرفه المجتمع الإسرائيلي حينها بدعم مسار التسوية الذي أطلقه القادة الإسرائيليون وشكّل أيضا مصدرا لمشروعيتهم.

من جهته، يركز تشارلز هورتون كولي Charles H. Cooley (1864/1929) في مقارنته الرمزية التفاعلية على ما يسميه "الذات المرأة" Looking-glass self بالنظر إلى الطبيعة الاجتماعية للذات البشرية. ويشير بها إلى كيفية اهتمامنا بصورتنا في أعين الآخرين بطريقة انعكاسية. فتصور الشخص لذاته يتشكل من كيفية رؤية الآخرين وتقييمهم له.

إذ يعمل الآخرون - حسب - "كمرأة" تعكس صورتنا. ونحن نبنى هويتنا استناداً إلى هذه الانعكاسات التي نتلقاها. وبناء على ذلك نُكوّن إدراكنا لها بطريقة الخاصة ومن ثمة تشكيل تصور لذواتنا.

وهكذا، يبدو في الأخير أن غيرنا يُعتبر مرآة لنا في تقييمنا لأنفسنا وتصورنا لها بناءً على ما نُقدّر ونعتقد أنه تقييم غيرنا لنا وموقفه من شخصياتنا. وبالتالي، وبنفس المنطق، فإن سلوك دولة ما هو نتاج ومحصلة تفاعل رمزي لعلاقتها مع الدول الأخرى والمجتمع الدولي بصفة عامة. وعلى أساس ذلك تتشكل صورتها عن ذاتها وما هو متوقع منها، انطلاقاً من نظرة المجتمع الدولي لها.

إنها نظرة تُشكّل في الأخير مكانة الدولة ضمن المجتمع الدولي وتحدد طبيعة السمعة التي تأخذها و"التغذية الإسترجاعية" تكون سلوكات، قرارات، وسياسات الدولة ضمن بيئتها الإقليمية والدولية. وفي حالة الأنظمة التي تكون فيها القيادة السياسية قائمة على أساس كاريزمي فإن مكانة الدولة في ظل التفاعل الرمزي مع البيئة الدولية هي من مكانة رئيسها.

هذا، ويعتقد "ويندت" إلى حد ما بهذا الطرح حينما يعتبر الذات انعكاساً للتنشئة الاجتماعية أكثر مما يتعلق الأمر باتخاذ الفرد مواقف وأحكام غيره مرآة له ولشخصيته. وهي (أي التنشئة) تجعله في غالب الأحيان حريصاً على موافقة ما تعارف عليه المجتمع من أفكار، قيم، وسلوكات.²⁷

2- الرمزية بالنظر إلى نرجسية الرئيس/القائد، ومكانة الدولة

غالبا ما تكون الحروب حمالةً في بعدها النفسي لرمزية ما. والذي تُعتبر فيه المعلومات، الإشارات، الرسائل وإيجاءاتها وسيلة وعاملاً محدداً له وباعثاً على سلوكات وردود أفعال تختلف طبيعتها وتتفاوت درجة قوتها بالنظر إلى طبيعة وقوة دلالات هذه الرسائل وتوقيتها، وكذا مرسلها والمعنيين بها.

بالنسبة للحرب الأخيرة على إيران، يمكن اعتبار نرجسية شخصية متخذ قرار الحرب (أو متخذي قرار الحرب: الرئيس الأمريكي، وبدرجة أقل ننتياهو) عنصراً جعل الرمزية عاملاً حاضراً بقوة لافتة للنظر.

إن النرجسي، من حيث أنه شخص غير سوي، يتوق إلى شخص أو على الأقل رد فعل ماشوستي reaction Masochistic يشبع حاجته المستمرة والمتجددة لإقناع ذاته بقوته من خلال مظاهر الضعف والخنوع التي يبدوها الماشوستي إشباعاً لرغبة لديه هو أيضاً في تلذذ الألم الذي يوفره له الشخص النرجسي الذي غالباً ما تعتبر السادية Sadism من سمات شخصيته بسبب شغفه بإيذاء الغير. فهو (النرجسي) لا يَكِل من كل محاولات إقناع الذات بالتفوق والتغلب لدرجة قد يكون فيها - في بعض الأحيان - في حاجة إلى أن يُظهر له الطرف الآخر، زيفاً، خضوعه وخوفه منه إشباعاً لهذه الحاجة النفسية لإبراز الذات. وهذه الحاجة هي مصدر عدوانيته المتعاضمة.

2-1- عن شخصية الرئيس دونالد ترامب

لقد أضحت شخصية الرئيس ترامب محط أنظار وتساؤلات العديد من الملاحظين والمحللين. وقد شاع عن بعضهم ترجيح فرضية تعمُّد إظهاره الجنون، وذلك ضمن ما يعرف بنظرية "الرجل المجنون"، التي ترتبط أولى الحالات التاريخية التي طُبقت فيها بمحاولة الرئيس الأسبق ريتشارد نيكسون الضغط على فيتنام الشمالية والاتحاد السوفيتي، متأثراً بتصوره لنجاح أيزنهاور في "سياسة حافة الهاوية" خلال الحرب الكورية. وهي إستراتيجية تُستخدم في المفاوضات أو الصراعات، حيث يقوم أحد الأطراف عن عمد باتخاذ إجراءات تزيد احتمالات التوصل إلى نتيجة سلبية، من أجل الضغط على الجانب الآخر لتقديم تنازلات. هذا، وقد أفصح نيكسون عن خطته لرئيس موظفيه، بوب هالدمان، قائلاً: "أسميها نظرية الرجل المجنون... أريد أن يعتقد الفيتناميون الشماليون أنني وصلت إلى النقطة التي قد أفعل فيها أي شيء لإنهاء الحرب" وأوعز إلى مساعديه بتسريب معلومات مفادها أنه مهووس بالشيوعية وأن يده على الزر النووي. وقد كان الهدف من ذلك إرسال إشارة إلى موسكو بأن "الرجل المجنون قد فقد صوابه"، على أمل حمل الفيتناميين على التفاوض. لكن هذه الإستراتيجية فشلت في الأخير، واستمرت الحرب بعدها.²⁸

ومنه، وبغض النظر عن فرضية تعمد إظهار الجنون العرضي، فقد ظهرت للعلن في السنوات الأخيرة دراسات جريئة جداً بخصوص التركيبة النفسية والعقلية للرئيس الأمريكي دونالد ترامب من قبل كتاب سير ومفكرين وإعلاميين أمريكيين بارزين، من بينها:

2-1-1- مقارنة العلاقة الكاريزمية لجيرولد باوست Jerrold M. Post, M.D و ستيفاني دوسيت Stephanie R. Doucette.

هي مقارنة تحلل شخصية الرئيس ترامب بالتركيز على خاصية النرجسية - التي تعتبر سمة كاردينالية Cardinal Trait لديه، بالمفهوم الذي صاغه "ألبرت" (كما أسلفنا) - ضمن العلاقة الكاريزمية بين القائد والتابع Relationship Charismatic Leader-Follower.

يُعتبر في هذه الدراسة ترامب كقائدٍ أحد أهم طرقي العلاقة الكاريزمية التي تنذر بخطر عظيم بالنظر إلى خصائص نفسية سلبية تطغى على شخصيته مثل: البارانونيا، العدوانية، اللاعطف... وهما يعتقدان أن هذه الخطورة يمكن أن تصل إلى درجة التهديد باستعمال السلاح النووي نحو الخارج، أو رفض ترك المنصب بعد انتهاء العهدة.²⁹

أما الطرف التابع في هذه العلاقة فهم مناصري الرئيس ترامب الذين يمكن اختزالهم ضمن مكون واحد هو حركة "ماغا" **Make America Great Again** ("لنجعل أمريكا عظيمة مجددا").

يرى "باوست" و "دوسيت" أن الأشخاص ذوي النفسيات الجريحة نرجسيا *Narcissistically Wounded Individuals* مثل الرئيس ترامب ينجذبون إلى العلاقة الكاريزمية.³⁰ فكلا الطرفان فيها (القائد والتابع) يغذي نرجسية في إطار علاقته بالآخر ونسبةً إلى موقعه منه. إن خصائص القائد، التابعين، والعلاقة بينهما، وكذا العوامل السوسيو-ثقافية، السياسية والتاريخية تتدخل في حدوث عمليات تحويل للنرجسية - في إطار تكاملي - بين هاتين الوضعتين (القيادة/التبعية).³¹

يبني الكاتبان مقاربتهم على مفهومين مفتاحيين هما: الشخصية المتعطشة للمرأة *The Mirror-Hungry Personality*، والشخصية المتعطشة المثلى *The Ideal-Hungry Personality*. يعتبر الرئيس ترامب أقرب إلى نموذج الشخصية المتعطشة للمرأة الناتج عن الذات الجريحة *The Injured Self*. وهذا الصنف من الأشخاص هم شديدو الحرص على إيصال معاني العظمة، القدرة الفائقة، القوة... إلى من يبحثون عن مصادر مثلى للقوة ولمن تملّكهم الريبة وانعدام اليقين.³²

2-1-2- مقارنة الهوية السردية *Narrative Identity Approach* لـ ماكأدامز

يُعتبر الفرنسي بول ريكور *Paul Ricoeur* من أبرز فلاسفة ومنظري الهوية السردية لا سيما في كتابه "الزمان والسرد: الحبكة والسرد التاريخي" *Temps et Récit* (1983). وفي هذا الإطار يجب أن يتم التمييز هنا بين دالتين لمفهوم الهوية: الهوية بمعنى "الهو نفسه" التي تُقال عن كل موضوع يستمر في الزمن على شاكلة الحجر أو الشجر. والهوية بمعنى «الهو عينه»، أي القدرة على التماسك أو الثبات الإرادي للذات أمام الآخر، بحيث بوسع الغير أن يعوّل عليه. وهذا النوع من الهوية يجسّد مفهوم الوعد الذي ألّتم به. أي هوية مفتوحة على وعد ألّتم بالإيفاء به. وهنا يظهر مفهوم الهوية السردية بوصفه المكوّن الثالث للهوية الشخصية، أي قدرة الشخص على سرد أحداث وجوده على نحو منتظم.³³

وعليه، يعتقد "ماكأدامز" أن الأشخاص يكوّنون هوياتهم من خلال دمج تجاربهم في قصة مستبطنة عن الذات بأبعاد زمنية (الماضي، الحاضر، والمستقبل) ثم يجري تطويرها. وهي تُشعر الفرد بالتماسك، الهدف الأخلاقي، والمعنى في الحياة.³⁴

وعلى هذا الأساس، يرى "ماك أدامز" أن الطريقة التي يروي بها الرئيس ترامب حياته في كتاباته تؤكد انعدام الهوية السردية لديه، لأنه شخص يعيش لحظته فقط. وهي خاصية تطبع بعض أهم سماته

الشخصية الأخرى. فهو ينظر إلى الحياة كحرب لا تنته. أو كما يقول "كارل جوناثان": "لدى ترامب رغبة جامحة ودائمة في الإنتصار في كل معركة يدخلها".³⁵

يرى "ماكأدامز" أن كل شيء بالنسبة لترامب، بما في ذلك أحكامه ومواقفه، يصنعها ويوجهها منطق الربح الآني.³⁶ ناهيك عن إضطرابه النرجسي الذي يجعله كثير التشدد، التصنع، والتفاخر... بأنه أعظم رئيس أمريكي، وأذكى رجل في العالم، وهو رابع الراحين.³⁷

2-2- النرجسية ورمزية النصر في الخطاب الرئاسي

مثلما يعتقد كثير من الدارسين للشأن الأمريكي مثل جيمس ماككورمك James M. McCormick فإن السياسة الخارجية الأمريكية هي بالدرجة الأولى محصلة قرارات شخصية الرئيس الأمريكي. وأن معرفة قيم وتصورات المجتمع الأمريكي تساعد في فهم الكيفية التي تتشكل وفقها أفعال وتحركات الولايات المتحدة دوليا.³⁸

يُظهر أثر بعض قيم المجتمع الأمريكي لدى ترامب في جانبها الديني (الأنجليكاني) في خطاباته بشكل متكرر جدا. إذ غالبا ما يعطيها "نكهة نرجسية" بسبب طبعه وبفعل ميولاته العنصرية.

إن توظيف ترامب للدين في خطاباته الرسمية ومقابلاته التلفزيونية إنما هو بخلفية رمزية تعبر عن رغبة جامحة مستمثلة في إبراز العلية، التميز، والتفوق في مواجهة أو منافسة أو حتى التنمر على الغير (من رموز الشعوب الأخرى).

تنعكس نرجسية ترامب بصورة جلية في كل خطاباته ومقابلاته التلفزيونية وفي كتاباته. ففي هذه الحرب أظهر مبالغة منقطعة النظير في ترديد خطاب النصر، بكل عبارات وإيجاءات الإذلال للطرف الإيراني، أضحي يوازيه - بسبب ذلك - خطاب إيراني بنفس الحدة. وكأنه سباق على رمزية نتيجة الحرب رغم عدم اكتمال صورة النصر بالنسبة للطرفين. وذلك يدل مرة أخرى على تكاليف المبالغة في مراعاة الرمزية والصدق بما يفيد بها في كل مرة. الأمر الذي يجعل الطرف الآخر يعطيها تأويل الهزيمة.

إن نرجسية الرئيس ترامب لا تعن خلو بعض الطرف الآخر من هكذا سمات حتى وإن لم تظهر إلى العلن بشكل فردي. بما جعل الأمر يبدو أقرب إلى نرجسية جماعية عرضية في سياق حالة عاطفية حماسية عامة استفزتها الحرب التي وُصفت بالظالمة، من خلال استدعاء رموز ومسميات من قبيل: الحضارة الفارسية الضاربة في التاريخ (لأكثر من 6000 سنة)، الإيمان مقابل الكفر وعبادة الشيطان، الخير مقابل

الشر، النقاء والإنسانية مقابل "عصابة إبستين"، مع كل ما ينطوي عليه هذا النعت من صفات "الخزي، والتوحش"...

خلال مقابلة له مع القناة الأمريكية المحافظة "نيوزماكس" في أواخر شهر أبريل 2026، صرح الرئيس ترامب بأن "الحرب التي تقودها بلاده على إيران قد انتهت فعليا، لكنه يريد تحقيق نصر بفارق أكبر".³⁹ كما كان في تصريحات أخرى سابقة كثير الإلحاح المتكرر على ضرورة "إستسلام الإيرانيين".

لقد شكل هذا الأسلوب الخطابي الإستفزازي بنبرة التمر لدى الرئيس الأمريكي - أكثر منه فعل كلامي Speech Act كما يسميه جون أوستين John Langshaw Austin (1960/1911)⁴⁰ و جون سيرل John Searle (2025/1932) وغيرهم من علماء اللسانيات - عائقا أمام المفاوضات الجارية بين الإيرانيين والأمريكيين وأضحى يعكس حالة إنكار لدى الرئيس ترامب من جهة وبالنتيجة المنطقية أيضا لدى الإيرانيين حينما انساقوا إلى تقمص وتقليد هكذا أسلوب في مشاحناتهم ومناكفاتهم المتزايدة له، في تجاهل وتناسٍ لطبيعة ومتطلبات التعامل مع الأزمة وحقائق الواقع الميداني (حتى وإن كانت لا متكافئة) بالنسبة لكليهما.

في 30 أبريل 2026 الرئيس الإيراني مسعود بازشكيان يصرح ويطلب " وقف التصريحات والأفعال الإستفزازية من جانب الولايات المتحدة كشرط مسبق من أجل بناء الثقة وإثبات الجدية لإنهاء الحرب".⁴¹ وذلك لعلمه بأثر ذلك على الإيرانيين وعلى الجناح المحافظ في مغالبة الجناح الإصلاحى المعتدل الذي يمثله داخل القيادة الإيرانية. والذي رغم تصريحاته (أي التيار المعتدل) إلا أنه أكثر براغماتية ويفضل الحلول التوفيقية ويدعو إلى إقامة علاقات طبيعية مع أمريكا والغرب لإنهاء العزلة الإيرانية التي أضرت بها كثيرا.

إن الجناح المحافظ المتشدد "يتغذى" على تصريحات الرئيس الأمريكي، الذي من حيث أنه يبحث عن مخرج يُظهره بمظهر الفائز الأكبر في هذه الحرب فإنه يعمل بنتيجة عكسية تماما على إطالة أمد المواجهة وإلحاق ضرر أكبر بصورته ومستقبله السياسي، بسمعة جيشه الذي يصفه بنرجسيته المألوفة "بالجيش الأعظم في العالم"، وبسمعة أمريكا ومصالحها في المنطقة على وجه الخصوص.

وعليه، فإن ما صنع خصوصية طبيعة خطابات الرئيس الأمريكي (المكثفة إعلاميا) هذه المرة في هذه الحرب هو أثرها السيء جدا على المصالح الأمريكية وأهدافها المعلنة وغير المعلنة، أكثر مما ابتغاه ترامب من رمزية نصرٍ وتفوقٍ مطلقٍ فيها.

3- الرموز الإستراتيجية والدينية في الحرب على إيران

كما أسلفنا، فقد تداخلت في الحرب الأخيرة على إيران الأبعاد الإستراتيجية وكذا الأبعاد الدينية وإن كانت هذه الأخيرة في غالب الأحيان، وليس كلها، ضمن حسابات الأهداف الإستراتيجية. وفيما يلي تبيان لذلك.

3-1- الرموز الإستراتيجية:

المثير للإنتباه في الحرب الأخيرة على إيران ما يمكن اعتباره تسابقا إعلاميا على رمزية النصر بين الأطراف المتحاربة وعلى ما نعتقدها رهانات إستراتيجية ينطوي عليها هذا التنافس. وفيما يلي بعض أهم مظاهر هذه الرمزية:

- الإستماتة في تأكيد السردية الأمريكية من أن إيران عدو حقيقي لعرب الخليج وبأنها لا زالت كذلك بل أشد خطرا وتهورا. وهذا بغرض تبرير التواجد العسكري الأمريكي في المنطقة وتبرير الحاجة للحماية التي يوفرها، خاصة بعدما لاقت السردية الإيرانية شبه تحول في قنوات شعوب المنطقة في جدوى وفائدة ذلك وجدوى كل التكاليف والتمويل الذي تستنزفه البنى القاعدية العسكرية الأمريكية التي لم تنجح في رد العدوان الإيراني، بل حتى في حماية الجنود الأمريكيين أنفسهم؛

- تصريحات الرئيس ترامب المتكررة التي يؤكد ويُذكر فيها دائما بما يعتبره انجازا عسكريا "ثمينا جدا" بتصفية قادة الصف الأول في الدولة والجيش الإيرانيين، وتدمير المنشآت النووية والأسطول البحري الإيراني، وحصار موانئ إيران... وتسويقه لذلك على أنه نصر حقيقي وفعلي للولايات المتحدة الأمريكية.

ومما كان لافتا للنظر بشيء من الغرابة الزخم أو بالأحرى الإخراج الإعلامي الذي كلف ترامب نفسه عناء الترتيب له بإحضار كل مكونات فريقه أمام حشد كبير من كُبريات وسائل الإعلام الأمريكية والعالمية - دفعا للسردية الإيرانية التي تبنت رمزية تحقيق انجاز عسكري كبير في أصفهان في أبريل 2026 بتدميرها طائرات دعم أمريكية من الحجم الضخم وإصابة جنود أمريكيين أثناء محاولة إنقاذ طيار أمريكي أسقطت الدفاعات الجوية الإيرانية طائرته (من نوع ف 15) - والترويج لما يرى فيه الرئيس ترامب إنجازا استخباراتيا، تكتيكيا، ومعنويا كبيرا حرم الإيرانيين من ورقة ثمينة كان يمكنهم توظيفها إعلاميا، سياسيا وتفاوضيا، وفشل كبير من قبلهم في التحكم في أجوائهم ومواجهة السيطرة الأمريكية الكاملة عليها، وبأنّ الخسائر المادية نظير انقاذ فرد واحد من أفراد جيشها لا تساو شيئا... وفي ذلك دلالة بيّنة وجليّة على

أهمية وحساسية البعد الرمزي في هذه الحرب بالنسبة للطرفين، وبدرجة أكبر للرئيس الأمريكي حفظا لماء الوجه، لسمعته، لمكانة أمريكا ومكانة وصورة جيشها في العالم، ومخافة أن يتم "رفس" معادلة الردع الأمريكي ورمزيتها ووقعها النفسي والاستراتيجي، ومن أن يشجع ذلك دولا أخرى (كالصين، كوريا الشمالية...) على إتيان سلوكات أو إجراءات عدائية جريئة؛

- صورة حرب الإستنزاف التي عمل الإيرانيون على تركيب تفاصيلها وإقناع الغير بها وبأنهم يتحكمون في زمامها وفي مقابلة الشروط الأمريكية بشروطهم خلال المفاوضات، وبأنهم أقدر من الأمريكيين وأخلص منهم فيما لو أرادت دول الخليج أن تكون لهم حليفا يوفر لهم الأمن بدل الولايات المتحدة الأمريكية التي لم تكن قادرة على رد الضربات الصاروخية الإيرانية عنهم وحماية منشآتهم النفطية منها، وبأن إيران ليست عدوا لهم. والأكثر من ذلك العمل حثيثا على تغليب وترسيخ صورة الحليف الأمريكي المتخاذل الذي أدار ظهره لهم وآثر إعطاء الأولوية لحماية إسرائيل بدل العرب رغم ما أعذقه على هذا الحليف من أموال وعطاءات. وبأن إيران أصبحت قوة عسكرية حقيقية في مواجهة قوتين عسكريتين. وهذا ما يُستشف ويستنتج من التصريحات المتكررة للقادة الإيرانيين، ومن إصرارهم على قرار غلق مضيق هرمز ومواجهة كل التحديات والمآلات المحتملة لذلك (عسكريا، إقتصاديا، ودبلوماسيا، على مستوى المنطقة والعلم ككل)؛

- إرث الإخفاق الإستراتيجي (والحضاري) في حرب العراق كان حاضرا - في الضمير الجمعي والذاكرة الجماعية للأمريكيين - في أغلب جزئيات هذه الحرب وتداعياتها وأبعادها الإعلامية والنفسية على الأمريكيين (وبدرجة أقل حرب فيتنام، بسبب ربما الفارق الزمني فقط، وبالنظر إلى تغير الأجيال إلى درجة ما). خاصة أن الأمر يتعلق بنفس المنطقة (الخليج) هذه المرة أيضا. ولطالما استُحضرت فيها إعلاميا رمزية الفشل من خلال "استدعاء" بعض إشارات التشابه في: المظاهر الطبيعية، الجغرافيا، والثقافة الشرقية والإسلامية... ومن خلال عدد الضحايا الأوائل من جنود المارينز الذين طالتهم الصواريخ الإيرانية كمُحصلة أولية لهذه الحرب، وخسائر العتاد الكبيرة خلال محاولة إنقاذ الطيار الأمريكي الذي أسقطت طائرته بأصفهان...

كل هذا الإرث شكل عبئا على الرئيس الأمريكي وعلى القيادة العسكرية الأمريكية. والذي كان من بين نتائجه (بشكل ما) جملة الإستقالات والإقالات التي طالت قيادات عليا فيها مثل إقالة رئيس أركان القوات البرية الجنرال "راندي جورج" في أبريل 2026، بسبب معارضته لأي عملية برية. وهو للعلم، قد كان قائد لواء محمول جواً خلال حرب العراق سنة 2003، إسقالة "جوزف كينت" مدير المركز

الوطني لمكافحة الإرهاب من منصبه في مارس 2026 احتجاجاً على تورط الولايات المتحدة في الحرب ضد إيران بالرغم من أنها لم تكن تشكل تهديدا حقيقيا، حسب تقييم "كينت"...

إن نتائج الفشل الأمريكي في العراق ورمزية ذكرياته - وإن شكلت حملا أثقل عزائم القادة الأمريكيين (المدنيين، والعسكريين)، وحملا ثقيلًا على الأوروبيين أيضا جعلهم يُجمعون عن الإنخراط في هذه الحرب - قد شكلت، في المقابل، حافزا قويا بالنسبة للإيرانيين جعلهم على الأقل يَأْمَنُونَ التدخل البري؛

- ترامب مدفوعا بحرصه على مكانة وسمعة أمريكا وجيشها وصورته في العالم، كان ينتظر أبسط الإشارات من الإيرانيين كي يسوّقها على أنها نصر، ولو كانت لا تعكس حقيقةً نصرا أمريكيا وفق ما تُحدد من أهداف للحرب على إيران: تفكيك المفاعلات النووية الإيرانية، تسليم كمية اليورانيوم المخصب لدى إيران، فك الارتباط مع ما يسمى وكلاء (أو أذرع) إيران في المنطقة والكف عن زعزعة الأمن و الإستقرار في المنطقة، تفكيك القوة الصاروخية الإيرانية...

- حرص الإسرائيليون على حفظ الصورة النمطية عن تفوق جيشهم المطلق في منطقة الشرق الأوسط، ولو تطلب ذلك عناء تشديد الرقابة العسكرية على أبسط معلومة ميدانية يمكن أن تُمثل مكسبا رمزيا للإيرانيين (أو المقاومة اللبنانية) بإخفاء كل دلائل ومؤشرات الخسائر المادية والبشرية. ولنا في العبارات الإعلامية الإسرائيلية الشائعة، من قبيل: سقوط صواريخ ومقذوفات معادية في "أماكن مفتوحة"، إسرائيل تقاتل "في سبع جبهات"، وكذا تحجيم عدد الضحايا (الموتى أو الجرحى) من الجنود الإسرائيليين كذبا وتضليلا... خير ما نستدل به على ذلك.

إن ذلك كله مخافة تبلور شعور وقناعة ما لدى العرب نتيجة ما يتوقع الإسرائيليون أن تكون قراءة خاطئة ممكنة لنتائج معركة طوفان الأقصى من أنها انجاز استراتيجي للمقاومة. ولذلك رأينا حجم وفظاعة التقتيل الممنهج الذي مارسه الجيش الإسرائيلي مؤخرا في غزة (مقارنة بكل معاركه السابقة فيها) وكذا تمسكه في الحرب على إيران - مدفوعا دائما بعقدة طوفان الأقصى وهوس درء صورة المنهزم - على تحقيق أكبر قدر من الإنجازات العسكرية والترويج لها إعلاميا بما يسهم أيضا في الأخير في مواجهة الإنتقادات الداخلية لنتيجه، ولطمأنة يهود الداخل والخارج، ودفاعا عن الفكر والطرح الصهيوني وتأكيدا على مصداقيته وصلاحيته في الدفاع عنهم وعن حقهم في الوجود وفي دولة خاصة بهم من جهة، وإقناعا للعرب

من اختاروا نَهج التطبيع مع إسرائيل بسداد خيارهم وتحفيزا لغيرهم ممن لا زال مترددا في ذلك لا سيما السعودية، وبأنها (أي إسرائيل) هي فقط أقدر على أن تكفيهم "شر" إيران، من جهة أخرى. لأن خلاف ذلك، بالنسبة لمعتنقي الفكر الصهيوني من الإسرائيليين، من شأنه أن يخلق واقعا جديدا أو محاولات عربية "جريئة" لمواجهة جماعية جديدة مستفيدة من رمزية الهزائم أو على الأقل تفسيراتها الذاتية للمواجهات السابقة معها (حماس، وإيران) على ذات النحو. والأرجح أنه لذات السبب والخلفية، إستشرعنا كما استشعر كثير من الملاحظين إصرارا وتسابقا حادا بين الإسرائيليين والإيرانيين على من تكون له الضربة الأخيرة في حرب 12 يوما؛

- رمزية استراتيجية بالنسبة لإسرائيل لا سيما بعد وقف إطلاق النار مع حزب الله اللبناني في 2026/04/16 حملتها تصريحات تنبأها لمرتين اثنتين خلال يوم واحد (2026/04/17) لعرض ما يسميه "إنجازات أهداف الحرب" ضد حزب الله، وتقديم ذلك على أنه انتصار لإسرائيل في هذه المواجهة المسلحة. وكذا الأمر نفسه بالنسبة للرئيس ترامب الذي أكد مصرحا في ذات اليوم بأن قرار إسرائيل وقف إطلاق النار مع حزب الله (الذي اشترطه الإيرانيون لاستئناف مفاوضات إيقاف الحرب مع الأمريكيين، مساندةً وحماية لحليفهم في لبنان) لم يكن له علاقة بمطلب إيران. وذلك دفعا لخرج ما قد يُتلقَى إعلاميا بأنه رضوخ للإرادة الإيرانية، وتفوق لهذه الأخيرة. وهو اليوم نفسه الذي أعلن فيه وزير الخارجية العراقي الفتح الكامل لمضيق هرمز أمام الملاحاة الدولية، قبل أن يتراجع عن ذلك. بما يفيد أن إيران بالفعل نجحت إلى درجة ما في فرض مبدء ومعادلة "وحدة الساحات" وحمل "العدو" على الاعتراف ضمنيا (وإجرائيا) بهذه المعادلة وموافقته (ضمنيا أيضا) إيران في التسويق لها والإقناع بها، حينما فرضت الولايات المتحدة على تنبأها (وإن لم يصرح به) شرط الإيرانيين في الربط بين الساحتين (الإيرانية واللبنانية) لاستئناف المفاوضات؛

- رمزية الحروب بين إسرائيل وحزب الله (والمقاومة عموما، في فلسطين ولبنان) تصنعها أيضا التظاهرات، الأهازيج، والمهرجانات الشعبية في المنطقة، بتحفيز وتحريض من المقاومة بما يشكل عبئا رمزيا وسياسيا كبيرا على الحكومات الإسرائيلية، على اختلافها وتعاقبها، ويحشد ضدها الرأي العام الإسرائيلي. ما يسهم في الإلتفاف من شعبيتها والإضرار بمكانتها وسمعتها ويهدد استمرارها، ولو على المديات المتوسطة، بمناسبة أي انتخابات مقبلة. وهي ذات المظاهر التي تعتمد الإيرانيون صناعتها (بتوجيه رسمي) في هذه الحرب، لِمَا

وجدوا فيها من رمزية بالغة. والأرجح أنه تكتيك سيتكرر في أي تفاهم (ولو مرحلي، بما في ذلك ما سرب من معلومات عن ذلك في 11 جوان 2026) ضمن المفاوضات الجارية لإيقاف الحرب الحالية.

3-2- الرمزية الدينية

يمكن اعتبار المظاهر، الأفعال والتصرّجات، وكذا القرارات الآتية من بين المؤشرات الواضحة على هذا النوع من الرمزية في هذه الحرب:

- صلاحية وصدقية وتفوق النموذج المسيحي (الأنجليكاني) في حلفه مع اليهودية، من أهم ما يتطلع الرئيس الأمريكي ترامب إلى إشاعته، من باب التفاخر من جهة، وبخلفية أخرى إستراتيجية أكثر منها دينية محضة. ومن ثمة، يُعتبر ربح الحرب أفضل وسيلة لتحقيق ذلك وإظهاره والإقناع به. ففي رده على سؤال لصحفية، فيما إذا كان الله حقيقةً يدعمه في حربه على إيران، قال: "إن الرب يدعم القضية الأمريكية في الحرب ضد إيران « God supports U.S. cause in Iran war »»؛

- تسويق الإيرانيين للمذهب الديني الشيعي، من خلال ما يُقدِّرون أنه نصر على أمريكا حينما حالوا دون تحقيقها أهداف الحرب، والترويج لصلاحيتهم لقيادة العالم الإسلامي والعربي بدل السعودية (رمز الطائفة السنية)، وبأن إيران تحارب نيابة عن الدول والشعوب الإسلامية وباسم الإسلام والمسلمين جميعا وليس الشيعة فقط. بدليل أنها كانت أقوى سند للفلسطينيين في مواجهة الظلم والإبادة الصهيونية-غربية. وبالفعل، فقد نجحت إلى درجة ما في ذلك وأضحى الكل يلاحظ جليا، وبشكل من الإستغراب، تعاطفا شعبيا مع إيران واصطفافا خلفها، وتشكّل قناعة جديدة بأهلية "الشيعة" لقيادة الأمة الإسلامية في مواجهة الظلم الصهيوني وبأن نضالهم أضحى أكثر صدقيةً من مواقف من "يدّعون" حمل "لواء أهل السنة والجماعة" وتمثيلهم (حسب السردية التي أشاعوها، أو أُشيعت عنهم)؛

- العمل على إظهار صلاحية وصدقية النموذج اليهودي التلموذي من خلال السردية الإسرائيلية-العبرية. مما نستشفه من بعض المسمّيات كتسمية الحرب بـ "عملية زئير الأسد" Lion Roarin الذي يرمز إلى القوة في السردية العبرية، وتسمية "أسراب سفر التكوين" (وهو الكتاب (السفر) الأول في التوراة الذي يروي بداية الخلق وأصول اليهود الأولى) على عملية قصف الطائرات الإسرائيلية لإيران، لربط ذلك بالتاريخ اليهودي ومحاوله من خلال ذلك خلق التفاف وإجماع يهودي على هذه الحرب. وغيره من الرموز والإيحاءات الدينية.

خاتمة:

لقد كنا مدفوعين من خلال تحليل الحرب الأخيرة على إيران بالحرص الشديد على تقديم دراسة تعنى بإمالة اللثام ليس فقط عن بعض الجوانب ذات البعد الدلالي والرمزي فيها - والتي كانت حاضرة ومؤثرة فيها دون أن يأبه أو ينتبه البعض من الملاحظين والمحللين لوجودها وتأثيرها "من خلف المشهد والسرديات" - بل الأكثر من ذلك تقديم اجتهاد إضافي لمجهودات سابقة، على قلتها في العالم العربي، عاجلت هذه الأبعاد في مواضيع أخرى.

ومنه، واستنتاجا لما تقدم من معطيات، يتأكد لدينا أن جوانب تدخل وتأثير الرمزية في هذه الحرب موضوع الدراسة قد صنعتها بشكل أساسي معطيات استراتيجية وأخرى شخصية (شخصية الرئيس - الزعيم) من قبيل:

- اللاتكافؤ العسكري بين طرفيها الأمريكي - الإسرائيلي من جهة والإيراني من جهة أخرى.
- إعتبارات المدى والعمق الجيوسياسي والجيواستراتيجي أيضا بالنسبة للإيرانيين في إطار ما يعرف "بوحدة الساحات" (أو "محور المقاومة") وما يطرحه من تحديات بالنسبة للطرف الآخر المهادي بالحرب وأهدافه من هذه الحرب التي يُعتبر تفكيك هذه المعادلة من بينها؛
- الرغبة في إستئصال أكبر قدر من الأطراف التي لها مصلحة في النتيجة التي ستؤول إليها الحرب من خلال الإستخدام المكثف (إعلاميا) والمتكرر للرموز الدينية على سبيل التعبئة الداخلية والحشد الإعلامي على المستويين الإقليمي والدولي بالنسبة للإيرانيين، وعلى المستويين الداخلي والدولي أيضا بالنسبة للإسرائيليين.

وبهذا تتأكد لدينا أيضا فرضية التوظيف السياسي والإستراتيجي للدين ليس من حيث أنه قناعة ذاتية أو كنموذج حضاري ثقافي يراد تصديره - على الأقل بالنسبة للأمريكان الأنجليكانيين واليهود الإسرائيليين - بل بقدر أكبر من حيث كونه "بنية رمزية" (بالمفهوم والدلالة البنيوية) تنطوي على إشارات تفيد التفوق المعنوي، والحضاري، لغايات: التعبئة، التبرير، والحشد العسكري.

- النرجسية كسمة أساسية ثابتة في شخصية الرئيس الأمريكي ترامب كانت وستظل دافعا محفزا على إثارة الصراعات بنقلها من مستوى الصراع الداخلي في خضم التنافس السياسي بين الحزبين الجمهوري والديمقراطي (في المواعيد الانتخابية، وفي كل ما يتعلق بقضايا الرأي العام بخصوص إدارة الشأن الداخلي مثل ملف مكافحة الهجرة، الإجهاض، الرعاية الصحية...) إلى مستوى الصراع الإقليمي (فنزويلا،

كولومبيا، كوبا...) فمستوى الصراع الدولي المسلح مع إيران. وربما ييدي المستقبل مجالات أخرى دولية للإحتراب تدفع إليها نرجسية الرئيس ترامب بمبررات أمنية، أو استراتيجية، أو غيره.

وهنا، يصبح لكل إشارات الإنتصار - بغض النظر عن الدلالات والمكاسب الجيو-إستراتيجية ذات الرمزية الكبيرة بالنسبة للأمريكيين - تأويل خاص من قبل الرئيس الأمريكي يتيح له إسناد كل ذلك لنفسه ولشخصيته "القوية، الذكية، والمحاربة بشراسة"... وهذا ما تؤكد تصريحاته المتكررة التي يُشخص فيها كل قرار أو إجراء يُتخذ بشأن هذه الحرب. بما يُظهر حرصه الحثيث على إبراز نفسه كصانع ومتخذ فعلي لكل قراراتها دون غيره من عناصر فريقه أو من جنرالات البنتاغون أو حتى من الحليف الإسرائيلي.

التهميش:

¹- الآية 60، سورة الأنفال.

²- "ترامب: تهديدي بمحو الحضارة الإيرانية أجلس طهران إلى طاولة التفاوض وما ينتظرها أسوأ مما حدث لفنزويلا"، روسيا اليوم، 2026/04/12، شوهده في 2026/04/15، أنظر: <https://arabic.rt.com/world/1777725>

³- هشام ملحم، "الحرب على إيران بين الأهداف المعلنة والنتائج الفعلية"، معهد دول الخليج العربية، 2026/04/10، شوهده في 03 جوان 2026، أنظر: <https://agsi.org/ar/analysis/the-war-on-iran-between-declared-objectives-and-actual-outcomes-arabic/>

⁴- محمد منير غازي، "الحرب الإدراكية وتآكل المناعة السيادية: تفكيك المنطق الاستراتيجي وإعادة صياغة الردع المركب في العصر الخوارزمي (القوى المتوسطة في الشرق الأوسط نموذجًا)"، السياسة الدولية، 2026/05/12، شوهده في 01 جوان 2026، أنظر: <https://www.siyassa.org.eg/News/22397.aspx>

⁵- يرجع هذان المفكران تنمر ترامب إلى أحد السببين: ما يعرف باضطراب الشخصية النرجسية Narcissistic Personality Disorder بالنسبة لبعض حالاته ومواقفه، أو صعوبة ترجمة أو الحكم على مواقف اجتماعية وتصرفات الآخرين في حالات أخرى. على أن المتنمر - حسبهما - غالبا ما يحركه انعدام الشعور بالأمان ودائما ما يسعى للتحكم في الغير و توجيههم ابتغاء التفوق. إرجع بهذا الخصوص إلى:

- Bandy Lee, M.D., M.Div., The Dangerous Case of Donald Trump: 27 Psychiatrists and Mental Health Experts Assess a President (New York: St. Martin's Press, 2017) p.p.35.

⁶- هشام ملحم، مرجع سابق، شوهد في 07 جوان 2026.

⁷- هو من كبار السلوكيين الأمريكيين المختصين في تحليل وإدارة الأزمات النووية خلال فترة الحرب الباردة المقربين حينها من الإدارة الأمريكية، إذ كان يمدّها بالرأي والمشورة التي تطلبها في هذا المجال.

⁸- Alexander L. George et Richard Smoke, Deterrence in American Foreign Policy: Theory and Practice (New York : Columbia University Press, 1974) p.p.172.

⁹- وليد حباس، "المشهد الإسرائيلي"، مدار: المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية، 2025/04/15، شوهد في 09 جوان 2026، أنظر: <https://www.madarcenter.org>

¹⁰- Alex Wilner, « Contemporary deterrence theory and counterterrorism: A bridge too far? », The NYU Journal of International Law & Politics, Vu le 05/02/2026, Voir : <https://nyujilp.org/wp-content/uploads/2015/11/NYI207.pdf>

¹¹- إرجع بهذا الخصوص إلى:

- Paul K. Huth, Extended Deterrence and the Prevention of War (New Haven and London: Yale University Press, 1988) p.p.15.

¹²- Cecilia L. Ridgeway, Hazel Rose Markus, «The Significance of Status: What It Is and How It Shapes Inequality », RSF: The Russell Sage Foundation Journal of the Social Sciences, November 2022, 8 (6) 1-25, Vu le 17/02/2026, Voir: <https://doi.org/10.7758/RSF>

¹³- Cecilia L. Ridgeway, Hazel Rose Markus, op.cit., Vu le 17/02/2026.

¹⁴- Jonathan Mercer, Reputation and International Politics (USA: Cornell University Press, 1996) p.p.06.

¹⁵- Gordon W. Allport, Personality: A psychological Interpretation (USA: Henry Holt and Compagny, INC, 1938) p. p.337.

¹⁶ - نجم أحمد مشعان، "مكانة الدولة وعلاقتها بمفهوم القوة في العلاقات الدولية"، مجلة العلوم السياسية، العدد 53، (2017) ص.219، شوهد في 09 جوان 2026، أنظر:

<https://doi.org/10.30907/jj.v0i53.91>

¹⁷ - المرجع نفسه، ص.218، شوهد في 09 جوان 2026.

¹⁸ - Stuart J. Kaufman, Symbolic Politics as International Relations Theory (Oxford: Oxford University Press 2017) p.p.01.

¹⁹ - Alexander Wendt, « Anarchy is what States Make of it: The Social Construction of Power Politics », International Organization, Vol. 46, No. 2 (Massachusetts : The MIT Press, 1992) p.p. 395.

²⁰ - Ibid, p.p.398.

²¹ - Alexander Wendt, op.cit, p.p.395.

²² - Ibid, p.p. 393.

²³ - Ibid, p.p.397.

²⁴ - Alexander Wendt, op.cit, p.p. 392, 407, 408.

²⁵ - Rebecca Adler-Nissen, « THE social self international relations: Identity, power and the symbolic interactionist roots of construvism», European Review of International Studies, January 2016, p.p.30-31-32, Vu le 11/06/2026, Voir :

<https://www.researchgate.net/publication/315105943>

²⁶ - Rebecca Adler-Nissen, op.cit., Vu le 11/06/2026.

²⁷ - Alexander Wendt , op.cit, p.p. 404.

²⁸ - ندى حطيط، "عقلانية اللاعقلانية: نظرية «الرجل المجنون» في المفاوضات الدولية"، مركز الجزيرة للدراسات، 2025/09/17، شوهد في 07 جوان 2026، أنظر:

<https://studies.aljazeera.net/ar/article/6317>

²⁹-Jerrold M. Post, M.D., Stephanie R. Doucette, Dangerous Charisma: The Political Psychology of Donald Trump and His Followers (New York: Pegasus Books Ltd, 2019) p.p.xv.

³⁰- Ibid, p.p.xvii.

³¹- Ibid, p.p.xix.

³²-Jerrold M. Post, M.D., Stephanie R. Doucette, op.cit, p.p.xviii.

³³- أم الزين بن شيخة المسكيني، "الفن وسرديات المستقبل"، مؤسسة هنداوي، ص.129، شوهدي في 05 جوان 2026، أنظر: <https://www.hindawi.org/books/25390979/>

³⁴- Dan P. McAdams, The Strange Case of Donald Trump: A Psychological Reckoning (New York: Oxford University Press, 2020). p.p.10-12.

³⁵- Jonathan Karl, Front Row at the Trump Show (New York: Dutton, 2020) p.p.04.05.

³⁶- Dan P. McAdams, op.cit., p.p.4-16.

³⁷- Ibid., p.p.16.

³⁸-James M. McCormick, op.cit., p.p.04.

³⁹- ترامب يؤكد أن الحرب على إيران "انتهت فعليا" ويطلب "نصرا بفارق أكبر"، روسيا اليوم، 2026/04/30، شوهدي في 01 مايو 2026، أنظر: <https://arabic.rt.com/world/1784357>

⁴⁰- هو، حسب أوستين، لفظ لا يُستخدم لمجرد وصف حقيقة ما بل لأداء فعل. لأنه كلام يتحقق في الواقع بعد التلفظ به. أو على الأقل يكون بغرض التحقيق والالتزام بذلك فعلا. إرجع بهذا الخصوص إلى:

- J L Austin, How to do things with Words (Oxford : The Clarendon Press, 1962).

⁴¹- "بزشكيان: وقف التصريحات والأفعال الاستفزازية من جانب الولايات المتحدة شرط مسبق من أجل بناء الثقة وإثبات الجدية لإنهاء الحرب"، الميادين، 2026/04/30، شوهدي في 03 مايو 2026، أنظر: <https://www.almayadeen.net/latestnews/2026/4/30/%D8>